

بلاد شنقيط والمستشرقون

د. بوها محمد عبد الله سيدي¹

مقدمة

بدأت فرنسا في إرسال البعثات الاستكشافية إلى بلاد شنقيط بغية اكتشاف شعبها ومعرفة طبيعة مواردها، ومن ضمن هذه البعثات، مستشرقون عملوا على دراسة تاريخ البلاد منذ البدايات الأولى لدخول الإسلام مروراً بأطوار تشكّل دولة المرابطين والهجرات العربية إلى الصحراء، وصولاً إلى الأدوار التي اضطلعت بها المحظرة الشنقيطية في الحفاظ على هوية البلاد وتحصين المجتمع ضد أي وافدٍ فكريٍّ لا ينطلق من الهوية الدينية للبلد (المذهب المالكي، العقيدة الأشعرية، التصوف السني). وقد تطرق المستشرقون للأدوار التي لعبتها المحظرة في غرب إفريقيا من نشر للثقافة العربية و الإسلام، حيث تفتن المستشرق موليين (Mollien) وهو في طريقه لرصد مناطق حوض النهر إلى هؤلاء العلماء الشناقطة الذين نشطوا في تلك الربوع، وبعث بذلك تقريراً إلى الإدارة الفرنسية.

1. أستاذ بالمعهد العالي للدراسات والبحوث

bouha.sidi@gmail.com

وقد أولى المستشرق (بول ديبيي Paul Dubié) أهمية كبيرة للثقافة الشنقراطية والمحظرة بشكلٍ خاصٍ في دراسةٍ أعدّها حول الإسلام في السنغال^[1].

كما جاء الصحفي (غاستون دوني^[2] Gaston Donnet) عابراً للصحراء، مصمماً العزم على معرفة الظروف التي تأسست فيها دولة المرابطين هناك، والأهداف التي دفعت هذه الأخيرة إلى غزو إسبانيا (كما يقول) 'وقد ركز كتابه: «رحلة عبر الصحراء» على الجوانب الثقافية والمكانة التي يتمتع بها علماء شنقيط والظروف القاسية التي يدرس فيها الأطفال^[3].

أما المستشرق (إتيان ريشي Etienne Richet) فقد تركز عمله على دراسة المجتمع الموريتاني بشكلٍ عامٍ مخصصاً فصلاً تاماً للحياة الثقافية والدينية في البلاد والحضور الصوفي، كما ركز على دراسة الجوانب السياسية والاقتصادية للبلاد، وأبدى إعجابه بما يمتلكه هذا المجتمع الصحراوي من ثقافةٍ عاليةٍ، وفي الوقت نفسه يظهر الانطباع السلبي لديه عندما يقول: إن تعليم المحظرة لا يرقى بأن يكون عقيدةً أو فكراً، أما زميله (فرانسيس دو شاسه Francis de chassey) فقد اهتم بمسألة الحفاظ عند أهل الصحراء، وحيث إن جل معارفهم محفوظاتٌ. ويضيف آخر هو المستشرق (بول بينلقى) في مذكراته: التعليم عند أهل شنقيط ميزةٌ مشرفةٌ يفتخر بها الشباب على أقرانهم الذين لم يحالفهم الحظ في التفرغ له... إلخ.

وبالإضافة إلى كتابات المستشرقين هناك التقارير التي كتبها الضباط أمثال: «ماج» و«جان كي» و«فينصان» والتي شملت كافة جوانب حياة المجتمع، السياسية والاقتصادية والاجتماعية... إلخ. لم يقتصر الاهتمام بهذا المجتمع على المستشرقين الذين زاروا البلاد بل هناك من انشغل بجمع المعلومات والكتابة عنه مع أنه لم يزر شنقيط ومن هؤلاء القس «بول بوالا» الذي كان يعمل لصالح الإدارة الاستعمارية

[1] Paul Dubié, La vie matérielle des Maures mémoires de L'Ifa, n° 23, Dakar, 1954, pp: 113-252, p:119.

[2] Gaston Donnet, En Sahara à travers le pays des Maures Nomades, p: 301, 302, Paris société française Edition D'Art.

[3] الدارجة الموريتانية.

الفرنسية في السنغال، وقد أولى عنايةً بالغَةً للمجتمع الشنقيطي فجمع معلوماتٍ عن رجال الدين وربط علاقاتٍ ببعض شخصيات المجتمع وأظهر لهم إعجابه بالمعارف الشنقيطية لدرجة أن صارت تصله بعض مؤلفات هؤلاء العلماء، ومن بين المؤلفات التي خلف لنا: مخطوطٌ شنقيطيٌّ نادرٌ بعنوان: «أمْرُوك الحرف» وهو تأليفٌ متنوعٌ، يتطرق لجوانبٍ عديدةٍ من الحياة الثقافية للبلاد، حيث تناول ترجماتٍ لأعلام المنطقة وبعض القصص الشعبية، هذا فضلاً عن ترجمة أسماء الحيوانات والأشياء من الحسانية إلى العربية وكذلك ترجمة المفردات الشائعة في اللهجة الحسانية إلى العربية.

وقد استعانت الإدارة الاستعمارية بمجموعةٍ ثالثةٍ تمثلت في المترجمين كان من بينهم المترجم الجزائري إسماعيل أحمد الذي ترجم عدة مراسلاتٍ جمع بعضها في كتابه «سجلات موريتانيا» يستعرض فيه مراسلات الكوماندوا الفرنسي أمير أترارة والشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمد بن سليمان كما تناول فصولاً عن حياة ناصر الدين وبعض الوثائق عن أنساب البيطان. كما انتدبت الإدارة الفرنسية المترجم السنغالي دودوسك (ولد ابن المقداد) الذي درس في المحاضر الشنقيطية حتى تضيع في اللغة العربية والعلوم الشرعية ووصل مستوى من التمكن باللهجة الحسانية أهله لقرض الشعر بها، وقد سخر معرفته هذه في خدمة الاستعمار يترجم ويعد التقارير حسب الطلب.

وهكذا، فإن المستشرقين الذين زاروا البلاد وخلفوا كتابات حول هذا المنكب هم في الأساس من المدرسة الفرنسية، على الرغم من وجود بعض الكتابات القليلة من غير الفرنسيين خلال القرن الثامن عشر، وقد حاولنا من خلال هذا المقال تسليط الضوء على مدى تأثير هذه الفكر الاستشراقي على هذا المجتمع.

وسنركز من خلال هذه المقالة على بداية دخول البعثات الاستشراقية للبلاد، والاهتمام الذي أولاه المستشرقون للتراث الثقافي والديني للمجتمع، وتتمحور في ثلاث محاور هي:

- أولاً: الاهتمام بالثقافة الشنقيطية.

- ثانيًا: المحظرة في كتابات المستشرقين.
- ثالثًا: جوانب من المقاومة الثقافية.

ثم خاتمة تستعرض بعض الخلاصات والاستنتاجات من الدراسة.

أولاً: الاهتمام بالثقافة الشنقيطية:

اعتنى المستشرقون بتراث المجتمع الشنقيطي، خدمةً للمشروع الفكري الذي تسعى الإدارة الفرنسية أن تؤسس له في موريتانيا وفي مستعمراتها بشكل عام، تمثل ذلك في اهتمامهم بالمصادر الثقافية للبلد، دينيةً كانت أم اجتماعيةً وسياسيةً... إلخ، وفي هذا المسعى عملوا على ترجمة مؤلفات شنقيطية كثيرة، حصلوا عليها أو ألفت بطلب منهم، مستغلين في ذلك علاقاتهم ببعض مشايخ و شعراء وكتاب البلد، حيث «قام قادة الاستعمار بترويج بعض المؤلفين في العمل على بعض المواضيع الخاصة والتي تخدم في ظاهرها حركة البلاد ثقافيًا فيما تخفي الهدف الرئيس منها وهو التعرف على تاريخ وأحوال البلاد من لدن المستعمر^[1]». كما دفعت الإدارة الاستعمارية بشخصيات مهمة بغية تعلم الثقافة الشنقيطية عن قرب، حيث أصر البارون روجي^[2] على ضرورة إرسال (ريني كايي) إلى بلاد البيضان^[3] لتعلم العربية والتقاليد المحلية معتبراً ذلك شرطاً لا غنى عنه للقيام بالرحلة المتوقعة إلى تنبكتو^[4].

وعلى الرغم من مقاطعة المجتمع الشديدة للوافد الأجنبي، فقد وجدوا من يتجاوب معهم في طلباتهم المتعلقة بالتأليف عن الهوية والتراث الشنقيطي، مقابل بعض الهبات التي تقدمها لهم الإدارة الاستعمارية، أو تحت ضغط الخوف من مضايقتهم، في تحركاتهم، يقول أحد الباحثين:

[1] التأليف الموريتاني في ظل الاستعمار، د. الشيخ سيدي عبدالله، ورقة بحثية، مجلة الأديب، اتحاد الأدباء الموريتانيين، العدد 10، 2010.

[2] الوالي الفرنسي على السنغال في تلك الفترة.

[3] بلاد البيضان أو أرض البيضان، هي تسمية من تسميات أطلق على موريتانيا قبل الاستعمار.

[4] الطريق إلى تنبكتو عبر موريتانيا، محمدمو ولد محمدمن أمين، ص: 193.

«ذلك أنهم طلبوا من رجال العلم الموريتانيين الكتابة عن مواضيعٍ تاريخيةٍ واجتماعيةٍ وهو ما لقي صدًى طيباً عند هؤلاء العلماء، ومنهم: باب ابن الشيخ سيديا وابن حبت الغلاوي الذي ألف كتاباً عن أنساب القبائل الموريتانيين وولد أحمد يوره، ومحمد فال بن بابا الذي أكمل كتاب ولد الشيخ سيديا^[1]».

ومن ذلك أيضاً رسالة كومانكو حاكم أترارزة إلى الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمد بن سليمان^[2] يطلب منه نسخةً من كتاب الأنساب لـ محمد اليدالي أو لغيره ممن ألف في الأنساب^[3]، فرد عليه أنه لم يؤلف في أنساب قبائل المنطقة، بل ألف كتابه المسمى بالحلة السيرة في أنساب العرب، وذكره بأنه سبق وأن أرسل إليه نسخةً منه^[4]، مع نسخة من كتاب والده الشيخ أحمد بن سليمان الذي ألف كتاباً في أنساب بعض قبائل البلاد، ومن هذه القبائل: ادبلحسن والسماسيد... إلخ. وأخبره كذلك أنه سيرسل إليه كتابا عن علماء تشمشة^[5] ودورهم في المجتمع وهو بعنوان «كرامات أولياء تشمشة» لـ محمد اليدالي المؤلف الذي سأل عنه الكومادو^[6].

ويقول الشيخ سيدي بابا في مقدمة مؤلفه، تاريخ إمارتي (إدوعيش) و(مشظوف): «... وبعد احتلال الدولة الفرنسية في أواخر العشر الثاني وأوائل العشر الثالث من القرن الرابع عشر، طلب مني بعض أكابره الفرنسيين (الكتابة في ذلك، لما لهم بالمعارف، واستخراج الفوائد من أحوال السالف والخالف، فاعتذرت...^[7]».

والواقع أن الحالة السائدة كانت رفض أي نوعٍ من أنواع التعاون مع المستعمر

[1] الموريتاني في ظل الاستعمار، د. الشيخ سيدي عبد الله مجلة إتحاد الأدباء الموريتانيين، ع، 10، 2010.

[2] الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمد بن سليمان الديماني.

[3] Ismael Hamat, Chronique de la Mauritanie sénégalaise, Nacer Eddine, texte arabe, traduction et Notice, p :1, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1911.

[4] Ismael Hamat, :1.

[5] مجموعة قبلية.

[6] Ismael Hamat, p :2.

[7] إمارة ادوعيش ومشظوف، الشيخ سيدي بابا، تح: إزيد بيه بن محمد محمود ط2، نواكشوط، 1994، ص:95.

سواءً كان هذا التعاون ثقافياً أو سياسياً عسكرياً أو استخباراتياً. ومن أمثلة ذلك موقف العلامة البشير بن أمباريكي:

«... فالشاعر والعلامة البشير بن أمباريكي، الذي هادن المستعمر تلبيةً لرغبة شيخه الشيخ سعد بوه بن الشيخ محمد فاضل رفض تولي أي منصب تحت الراية الفرنسية، ولذلك يقول رداً على أصدقائه الذين حاولوا إقناعه بتولي القضاء آنذاك^[1]. حتى قال: يارب من أراد لي إمارة... عند النصاري ثقلن أوزاره، واجعله في الدنيا فقيراً فاسقاً... لا يلقى بعد الموت شيئاً لائقاً.

من جهةٍ أخرى توالى التقارير والكتب والترجمات عن هذا المجتمع، ونذكر على سبيل المثال ترجمة بول مارتي (Paul Marty) لكتاب أخبار الأبحار بأخبار الآبار، فضلاً عن كتبه عن الإسلام في موريتانيا وفي دول غرب إفريقيا^[2]. كما عملت الإدارة الفرنسية على قطع الصلات بين هذا البلد ومحيطه العربي والإفريقي فعملت على فرض القيود على قوافل الحج وحظرت استيراد المصاحف^[3]....

حتى صار الحاج الشنقيطي يستأذن من الإدارة الاستعمارية الفرنسية، ليحصل على ترخيصٍ للخروج إلى الديار المقدسة، فهذا هو العلامة محمد الأمين الشنقيطي يتوجه إلى سينلوي بالسنغال ليحصل على إذن بمغادرة البلاد للحج، حيث لقي هناك المستشرق لريش (Leriche) الذي أولاه عنايةً كبيرةً، وحاول اكتسابه لصالح الإدارة الفرنسية من خلال هدية قدمها له، تمثلت في عشرة آلاف فرنكٍ فرنسيٍّ إفريقيٍّ، كما أرسل إلى الحاكم الفرنسي في ولاية لعصابة (بيرو Bureau) يستأذنه في إمكانية تحمل الدولة الفرنسية تكاليف حجه، لكن الرد جاء بالرفض، نظراً لما أفاد به عُرّفاء الاستعمار في المنطقة، عن مواقف الرجل المعادية للفرنسيين^[4].

[1] التأليف في موريتانيا في ظل الاستعمار. ورقة بحثية د. الشيخ سيدي عبد الله مجلة اتحاد الأدباء الموريتانيين، ع، 10، 2010.

[2] إخبار الأبحار بأخبار الآبار، أمحمد بن أحمد يورة، ترجمة (بول مارتي Paul Marty)، دراسة أحمد ولد الحسن، معهد الدراسات الإفريقية الرباط، 1992. تقع في 124 صفحة.

[3] شنقيط المنارة والرباط، ص: 53-56.

[4] مجالس مع فضيلة العلامة محمد الأمين الجكني الشنقيطي، أحمد بن محمد الأمين بن أحمد الجكني

وهكذا فإن الإدارة الاستعمارية، استعانت ببعض الكتاب، في تدخل خطير على الهوية الثقافية للمجتمع، حتى ألفت بعض الكتب تحت طلب من الإدارة الاستعمارية، وهو ما يدل على بالغ الاهتمام الذي أعطاه هؤلاء المستشرقون للبلاد الموريتانية. ولن يتوقف الأمر عند هذا الحد بل إننا سنجدهم يؤلفون في اللغات والآداب الخاصة بهذا المجتمع، ومن ذلك الكتاب «منهج العربية المنطوقة في السينغال الذي أمر الحاكم الفرنسي فدرب بطبعه، سنة 1893، لـ (ماري برنار Marie Bernard). وفي 1909 أضاف له (آلبير رينييه Albert Reynier) دراسةً للهِجَة البيطَان^[1]».

وكذلك العمل الذي أعده الإداري الفرنسي (فرانسيس نيكولاس Francis Nico- las) لمنطقة ما وراء البحار، تحت عنوان اللهجة البربرية الموريتانية^[2].

كل هذه الجهود بذلت لتحقيق الأهداف الاستشراقية في هذا المجتمع بالتأثير على ثقافته وقيمه والتمييز بين أعراقه، ومحاولة طمس هويته. يقول الوالي العام لغرب إفريقيا في رسالة بعث بها إلى وزير المستعمرات سنة 1902، «لقد وجدنا أمامنا شعباً يملك ماضياً مليئاً بالأمجاد والفتوح ما تزال عالقةً بأذهانه كما وجدنا مؤسسات اجتماعية لا نستطيع تجاهلها نظراً لعلاقات التضامن الوثيق التي تسود بينها (...) ومن الخطأ أن نقارنهم بالشعوب السوداء ذات التقاليد الأضعف والشعور الوطني الخافت^[3]».

ثانياً: المحظرة في كتابات المستشرقين:

تباينت آراء المستشرقين حول مؤسسة المحظرة، فبينما رآها البعض بعين

الشنقيطي، ص: 31-30، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة الكويت، 2007. ط 1.

[1] موريتانيا وأوروبا عبر التاريخ، محمد سعيد ولد همدي ص: 61، 62.

[2] Francis Nicolas, La langue berbère de la Mauritanie, Mémoire de l'institut français d'Afrique noire n°: 33, IFAN_DAKAR, 1953.

[3] A.N.M., Série E, dossier N°8, M. Le ministre des colonies en date du 1 decembre 1902.

نقلا عن المنظمات الإنسانية واجهة الاستعمار الجديد في موريتانيا، محمد المختار سيدي محمد، مجلة الحكمة، ص: 68، ع: 12، 1999، بغداد.

الإعجاب، وانبهر بما تقدمه من معارف جمّة، في فضاءٍ شبه معزولٍ عن المدن والقرى، وما أعطي أهلها من حماسٍ وحبٍ لطلب العلم، على الرغم من قسوة الطبيعة الصحراوية، مستدركين الدور الكبير الذي تلعبه المحظرة في المجتمع الشنقيطي، من تربية النشء وتقويم المجتمع على مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، فيحفظ الصغار القرآن الكريم، في سنٍّ مبكرٍ، ويتدرجون بين المتون الأخرى (الفقه واللغة... إلخ).

أما أصحاب الاتجاه الآخر فنظروا إلى المحظرة بعين الازدراء واعتبر أن كل المعارف التي تقدّمها، لا تعدو كونها محفوظات تلقن للصبيان حتى يلتقوها للأجيال اللاحقة، دون أن تكون هناك قيمة مضافة تنعكس على حياة الناس، ورأوا في طريقة التدريس المحظري مشقّةً وخطورةً على ذاكرة الأطفال^[1]. وهناك من أصحاب هذا الاتجاه، من بالغ حتى اعتبر المحظرة عديمة الفائدة، والمواد المدرسة بها لا تحمل فكراً وخاليةً من معاني العقيدة الإسلامية، وبعبارة أدقّ تفتقد إلى الرسالية ولا تحمل مشروعاً، حسب ما رأى أصحاب هذا الاتجاه الأخير. واستغربوا من الأعداد الكبيرة للطلاب التي تأتي من كل حذبٍ وصوبٍ في ظروفٍ قاسيةٍ، يقطع الطلاب فيها المسافات الطوال، وزاد حيرتهم هذا الحماس الشديد والمجهود المضاعف المبذول من طرف الطلاب في سبيل تحصيل العلم، تحت خيمةٍ لا تقيهم برد الشتاء ولا تكف عنهم حرّ الصيف. وأيضا دور شيخ المحظرة الذي يسخر وقته ويبدل كل الجهد لتعليم وتكوين علماء أفاض.

كما تابع المستشرقون مراحل تشكّل التاريخ الثقافي للبلاد والنتائج التي حققتها المحظرة الشنقيطية خارج الفضاء الشنقيطي في المشرق والمغرب وفي غرب إفريقيا من خلال سفراء المحظرة الذين ذاع صيتهم في كل هذه الأقطار.

[1] يتحدث المستشرق إدmondو دي أميتشس عن الكتاب القرآني المغربي وتقتارب الأوصاف مع اختلاف بسيط في أعداد الطلاب التي هي بالعشرات في المحظرة: "... الكتاب القرآني الذي يتكون من حوالي ستة أطفال تحت رقابة المعلم الذي يحمل العصا وعلى أهبة معاقبة أي شروء من جانب تلاميذه... والذين يتناوبون على لوحة واحدة للقراءة..."، الرحلة في صورة الآخر، قراءة في نصوص الرحالة الأوربيين، تأليف مشترك، إشراف: كريم حبيّ، مقال: الإيديولوجيا الاستشراقية في رحلة إدmondو دي أميتشس حول المغرب خالد شاوش، ص: 131، 2013

أما المستشرق (إتيان ريشي Etienne Richet)، فقد تابع بدايات دخول الطالب للمحظرة والظروف العامة فيها، يقول: إن الطالب منذ دخوله للمحظرة وحتى يحفظ الجزء أو الجزئين لا يدفع أي مقابل مادي، وإذا حفظ الجزئين، يقدم هديةً لشيخه، تقدر بثلاث مائة أفرانك، وفي نهاية دراسته يختبره الشيخ وإذا نجح في الاختبار يكتب له إجازةً من عنده مع سند^[1].

ويضيف (بول بنليفي Paul Painlevé) أن الدراسة في المحظرة، هي ميزة مشرفةً يفتخر بها الشبان ويعيرون قرناءهم الذين لم يكن لهم الحظ في ولوجها، ويصف حالة تدافع الطلاب للتسجيل في المحظرة ويتنقلون مع شيخهم أينما حل وارتحل. كما «عبر بول بنليفي» عن تقديره المكانة التي يحظى بها الشيخ في هذا المجتمع قائلاً: فطلاب المحظرة يفدون من كل حدب وصوب إلى خيمة معلم المحظرة، ويحظى هذا الشيخ بتقدير الأهالي والطلاب ويبقى فضله قائماً على الطلاب حتى بعد انتهاء الدراسة، يتجسد ذلك في هدايا تقدم له، عرفاناً له بالجميل^[2].

كما لم يغب عن المستشرقين أن التأثير في هذا المجتمع قد لا يأتي بسهولة، لكن المبدأ الذي عملوا على أساسه هو أنهم كلما تقدموا شوطاً في معرفة مؤسسات المجتمع، كلما قلصوا المسافة بينهم وبين المجتمع من جهة، واقتربوا شوطاً من مكان التأثير، يقول المستشرق (بول مارتي Paul Marty) مستشار الإدارة الفرنسية للشؤون الإسلامية لمنطقة إفريقيا الغربية: إن المحظرة هي المؤسسة المسؤولة عن تصدير القضاة والأئمة والفقهاء، وتسند لفئة زوايا أهل العلم، وبالتالي يجب على الإدارة الاستعمارية أن تحيطها بعنايتها^[3].

[1] Etienne Richet, La Mauritanie, p: 119.

[2] Etienne Richet, (professeur au collège des sciences sociales, membre du conseil supérieur des colonies), La Mauritanie, préfaces: Paul Painlevé (membre de l'institut, ancien président du conseil), Paris, 1920.

[3] Paul Marty Les tribus de la Haute Mauritanie, p: 85, comité de l'Afrique française, Paris, 1915 .

الأدوار التي اضطلعت بها المحظرة:

أدرك بول أن المحظرة، تقف عقبه أمام المخطط الاستعماري في المنطقة حيث يقول: أساتذة المحاضر هم علماء وأساتذة جامعيون يقدمون دروسهم تحت الخيام من أمثلة هؤلاء العلامة محمد بن محمد سالم المجلسي^[1] وقد تطرق (بول مارتي) لمكانة هذا الرجل وعلمه وعدد من مؤلفاته، الريان في تفسير القرآن وغيره^[2]...».

فالمحظرة حاربت التنصير في غرب إفريقيا، بدءاً من دولة الجوار السنغال، وذلك بشهادة (بول مارتي) عند ما وقف على الدور الذي تقوم به في الضفة السنغالية خلال القرن 19م، وما لقيته من إقبال كبير لفت انتباه المبشرين^[3]. في وقت كان المنصرون المسيحيون بدوا يستقرون في نفس الضفة^[4].

ينضاف إلى ذلك شهادة أخرى من الرحالة (موليين Mollien)، تطلعنا على المناطق التي وصلتها المحظرة وحاربت فيها التنصير. فقد كان التجار الشناقطة يتنقلون بمحازرهم حيثما حلوا وارتحلوا دون أن تمنعهم المهن التي يمارسونها، فنشروا الإسلام في أصقاع لم تكن لتصلها في تلك الفترة، وأنقذوها من خطر التبشير المحقق، فنافسوا المبشرين المسيحيين في غرب إفريقيا. فها هو (موليين Mollien) متضايق من هذه المسألة إذ يقول بأن المبشرين المسيحيين في رأس الرجاء الصالح لن يصلوا إلى مناطق وسط إفريقيا إلا بعد أن يكون الإسلام وصلها عن طريق العلماء الشناقطة^[5].

التقليل من دور المحظرة:

أشاد إتيان ريشي (Etienne Richet) بعلم أهل الصحراء والنشاط الحماسي الذي

[1] محمد بن محمد سالم بن محمد سعيد بن محمد بن عمر بن أبي السيد بن أبي بكر بن علي بن يمغدش بن وديعة الله بن عبد الله بن أحمد بن يفت بن يذر بن إبراهيم الأموي.

[2] Les tribus de la Haute Mauritanie, p: 56, Paul Marty, comité de l'Afrique française, Paris, 1915.

[3] Paul marty, L'émirat des Trarza, p 271.

[4] : Paul marty, L'émirat des Trarza, p: 286.

[5] Mollien, Voyage dans l'intérieur de l'Afrique.

نقلًا عن مجتمع البيطآن في القرن التاسع عشر قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، سابق، ص: 300.

يمتلك طلاب هذه الجامعة، متناسياً حالتهم الصعبة وقسوة المناخ التي لم تمنعهم من تحصيل العلم في براري الصحراء^[1]. كما قال بذلك مارتي، عندما تحدث عن موسوعية علماء شنقيط، والفترات الطويلة التي يمضونها في تحصيل العلم. من جانب آخرَ يطلعنا على رقمٍ مهمٍّ لعدد الطلاب في إحدى المحاضرات، حيث يقول بأسلوب المتعجب، تضم إحدى المحاضرات 38 طالباً، وهو ما يعني اهتمام الأهالي بهذه المؤسسة والتعامل معها، قصد إنجاح مشروعها^[2]. في حين رأى بعض المستشرقين أن المحاضرة لا تستحق ما أحيطت من اهتمام من طرف الإداريين الفرنسيين ومن هؤلاء (فرانسيس دو شاسي Francis de chassey)، إذ يقول: «إن التعليم القرآني بوصفه تعليم شعائر وألفاظ، لا معنى له لدى الأطفال، وبوصفه تمرين حفظ، فهو لا يرقى إلى مستوى تمرين للفكر، فكيف به والحال هذه أن يصل إلى أفهام الأطفال؟ قد ينوم في أحسن الأحوال نشاطه الناشئ ويجعله ينحرف عن المجهود الفكري في المقابل، تلك هي نهاية الحرية الجميلة التي تمتلكها، هذه المدرسة المفتوحة في العراء وبداية سطوة نظام متعجرفٍ بقدر ما هو قاسٍ يوشك أن يفقد فيه الطفل عفويته وتوازنه^[3]».

ويضيف أن هذا التعليم لا يرقى إلى أن يرسخ عقيدة أو يكون فكراً، ولا أن ينور لرواده الطريق بل على العكس من ذلك فهو خطرٌ على الأطفال وقد يتسبب في إفساد عقولهم: «لا يمارس المعلم أي تأثير أخلاقيٍّ إنما يكتفي بشحن الذاكرة، ولا يولي أي اهتمام لتعليمهم العقيدة الإسلامية التي يجهلها جهلاً عميقاً. إنه تاجر لغة عربية وكأي تاجر فإنه من النادر أن تجد لديه أفكاراً سياسية دقيقة على الأقل أفكاراً معبراً عنها بشكل صريح^[4]».

[1] : La mauritanie, Etienne Richet. p: 119, Paris 1920.

[2] Etudes sur l'islam au sénégal, p :18.

[3] (فرانسيس دو شاسي Francis de chassey)، موريتانيا من سنة 1900 إلى 1975، ص: 126، ترجمة محمد ولد بوعلية، دار جسر للنشر، بتصرف.

[4] (فرانسيس دو شاسي Francis de chassey)، موريتانيا من سنة 1900 إلى 1975، ص: 127، ترجمة محمد ولد بوعلية، دار جسر للنشر.

وهكذا شكلت الآراء الداعية إلى خطر المحظرة والمقللة من قيمتها موقفاً حازماً يحد من عملها والأدوار التي تلعبها، وهو اعترافٌ ضمنيٌّ بالدور الكبير الذي تلعبه المحظرة في الحفاظ على الهوية الإسلامية في المنطقة حيث وضعت الإدارة الفرنسية عدة خططٍ لهذا الأمر، بناءً على ما وصل إلى الحاكم العام للمنطقة، من تقاريرٍ تفيد بخطورة النشاط التربوي الذي تلعبه المحظرة، على المشروع الفرنسي في غرب إفريقيا. فأمر الحاكم بإنشاء مدرسة لمعلمي القرآن يتلقون تعويضاتٍ ماليةً ويكونون تحت تأثيرٍ من الإدارة الفرنسية، ومن أجل محاربة المحاضر التي تنشأ في كل مكانٍ خارج رقابة وتوجيه الإدارة، ويطلعنا (فرانسييس دو شاسي Francis de chassey) على هذه الإرهاصات قائلاً: «... طلب (الحاكم العام) من مدير التعليم في تونس أن يكتب له ما يجري به العمل هناك ومن السيد دي فلكور De Felcourt، في القنصلية في القاهرة طالباً معرفة سياسة الإنجليز في هذه المسألة. كما بعث الحاكم المساعد كلوزل Clozel، إلى الجزائر سنة 1906، وقد عاد إليه بتقرير عن المدارس والتعليم الفرنسي والإسلامي في هذه المستعمرة^[1]». وعلى هذا الأساس شكلت الإدارة الاستعمارية من بين المستشرقين لجاناً لإحصاء المحاضر في البلاد الموريتانية، تقوم بجمع معلوماتٍ عامةٍ عن الشيخ (المنطقة التي ينحدر منها، والمشايخ الذين أخذ عنهم والطريقة التي يتبعها، وموقفه من الإدارة الفرنسية)، وكذلك عن المحظرة (عدد طلابها والكتب التي تدرّس فيها...)، ومن أمثلة ذلك الوثيقة التي قدمها «كوستاف أودان Gustave Audan»، عن المحاضر في كيدي ماغة، حيث كان مفوضاً في إفريقيا الغربية الفرنسية (A. O.F)، أحصى خلالها: مائة وستين إماماً ومعلمًا، وقدم تفاصيلاً موسعةً عن كل شيخٍ محظرةٍ على حدة^[2].

وقد دخل كافة المستشرقين ومن يعمل لصالحهم في جمع المعلومات وضبط التقارير حسب أوامر الإدارة الفرنسية، ولا يقل دور المستشرقين الذين أبدوا إعجابهم بالمحظرة، عن غيرهم ممن نعتوها بأوصافٍ سلبيةٍ، فمن خلال تقارير الجميع،

[1] (فرانسييس دو شاسي Francis de chassey)، موريتانيا من سنة 1900 إلى 1975، ص: 127، ترجمة محمد ولد بوعليية، دار جسور للنشر.

[2] المقاومة السنوكية، للاستعمار في كيدي ماغة، ص: 83، 190. د. محمد المحبوب ولد محمد المختار ولد بيه. مكتبة القرنين، 2010.

خرجت الإدارة الاستعمارية بمجموعة من المقترحات كان أولها محاولة الاحتواء، فأعطت عناية خاصة للمحاضر وشكّلت برامج لذلك، إذ أصبحت تمنح رخصاً، لمن تأمنه على مشروعها، كما أن هذه الرخص قابلةٌ للسحب إذا لم يستوف المعلم الشروط المفروضة على المحظرة، ويلزم الطفل كي يسمح له بالذهاب إلى المحظرة، بإمضاء ساعتين يومياً في المدرسة الفرنسية، أو بالحصول على شهادةٍ مدرسيةٍ قبل دخول المحظرة القرآنية أو دعم من معلم المحظرة يخصص ساعتين يومياً لتدريس الفرنسية في المحظرة، والهدف من ذلك حسب (فرانيس دو شاسي Francis de chassey) هو إدماج الأطفال وإطلاع السكان المحليين على لغتنا مع احترام معتقداتهم^[1].

ومع كل هذه البرامج المفروضة على المحظرة وطلابها ظل الإقبال على المدرسة الفرنسية بين ضعيفٍ وشبه ضعيفٍ، وهو ما يظهر من خلال تقرير للضابط «ج. روس (J. Ross)»، حيث يقول: «إن إقبال أبناء البيضان ظل معدوماً في السنوات الأولى، وإقبال أبناء الزوج موجودٌ لكنه ضعيفٌ، لم يتجاوز خلال عامي 1905 و1906، الأربعة والعشرين طالباً، بعد أن كانوا سبعة طلاب، رغم توفير منح دراسيةٍ لكل من يلتحق بهذه المدرسة^[2]...».

وبهذا فإن الإدارة الفرنسية لم تحقق هدفها التربوي كما كان مخططاً له، ذلك أن أغلب الطلاب لا يدخل المدرسة إلا بعد أن يقطع أشواطاً في التعليم المحظري أو يزوج بينهما، وهو ما انصاعت له الإدارة الفرنسية، عندما علمت أن المحظرة يحيطها الشناقطة بشيءٍ من الهيبة والقداسة. ويرجع (فرانيس دو شاسي Francis de chassey) أن هذا الفشل مرده قلة الحكمة، والأولى أن تفرض التعاليم الدينية المسيحية بشكلٍ علنيٍّ مع الثقافة الفرنسية، وإلغائه ما دام لا يحقق ما تصبو إليه الإدارة، فيقول: «مبدأ المدرسة أي المدرسة الفرنسية، ممتازٌ ولكن تطبيقه ينبغي أن يكون حكيمًا، في هذه الحال يكون العمل بالتميز اللاهوتي أو لا يكون أبداً^[3]».

[1] المصدر السابق، ص: 126.

[2] J. Roos, l'adjoit au commissaire, Territoire civil de la Mauritanie (Rapport d'ensemble), p: 54. Saint-Luis, Imprimerie du gouvernement, 1908.

[3] (فرانيس دو شاسي Francis de chassey)، موريتانيا من سنة 1900 إلى 1975، ص: 130، ترجمة محمد ولد بوعليية، دار جسور للنشر.

ومن جهةٍ أخرى حاربت الإدارة الفرنسية الوجود المحظري خارج الفضاء الشنقيطي بقوةٍ فبعد أن وجه (بول مارتي) اللوم للإداريين الفرنسيين على تجاهلهم نشاط الشيخ محفوظ^[1] الدعوي في بلاد ديولا الوثنية، حتى صارت له علاقةٌ طيبةٌ بزعماء تلك البلاد^[2]، فسرعان ما تم تضيق الخناق على كافة تحركات العلماء الشناقطة في السودان الإفريقي. و جاءت الأوامر من الإدارة الاستعمارية باعتقال الشيخ محمد هادي^[3] الذي كان مستقرًّا في غينيا في قرية سانديا يعلم الناس الإسلام سنة^[4] 1912. كما رحلت السلطات الفرنسية الشريف سيدي محمد حيدرة^[5] من بلاد ديولا الوثنيين لكونه جاء لنشر الإسلام بها^[6].

وخلاصة القول أن المستشرقين وقفوا على التعليم المحظري من جميع جوانبه، سواءً أتعلق الأمر بالمناهج التربوية المتبعة والكتب المقررة في التدريس، أم بالمكانة التي يحظى بها في هذا المجتمع، والدور الذي لعبه علماء المحظرة في تحسين المجتمع الشنقيطي ونشر الإسلام في غرب إفريقيا، ومحاربتهم للتنصير، كما كانت مصدر قلق لهم، فجاء الدافع للتعرف عليها عن قربٍ قصد كبح عطائها وطمس إشعاعها العلمي والثقافي.

ثالثاً: جوانب من المقاومة الثقافية (معارضة المدرسة الفرنسية)

شكلت محاربة المدرسة (Ecole) عنواناً عريضاً في شعر المقاومة الشنقيطية وذلك لعدة عوامل منها:

1- المدرسة وافدٌ أجنبيٌّ، يقدم تعاليم الثقافة النصرانية، بتصوير شعوب الحضارة الغربية على أنهم أسياد العالم وشعوب العالم الأخرى على أنهم أتباع لهم، هذا

[1] أحد العلماء الشناقطة الذين اشتهروا في الغرب الإفريقي تحدث عنه بول مارتي في روايته لأخبار العلماء الشناقطة.

[2] Maul Marty, L'islam au Sénégal, p: 46, T1.

[3] أحد العلماء الشناقطة الذين اشتهروا في الغرب الإفريقي.

[4] نائق الوطنية ملف E2/44، النحوي ص: 343.

[5] تلقي تعاليم الدين الإسلامي على يد العلماء الشناقطة.

[6] النحوي 343.

فضلاً عن محاربة الإسلام، وذلك لما عاشه علماء المسلمين من سجنٍ واضطهادٍ ونفيٍ وإبعادٍ في دول الجوار.

2- لم يخفَ على العلماء أن التنصير أصبح على الأبواب بعد أن وصل المنصرون (وبحمايةٍ من الإدارة الاستعمارية) من الجوار المباشر للبلاد، خاصةً بعد ما شاهدوه من استعمارٍ وقهرٍ واستعبادٍ للسكان وفرضٍ للثقافة الفرنسية والتبعية للقدوة الاستعمارية.

3- شكّل افتتاح المدرسة في هذه البلاد أمراً بالغ الأهمية بالنسبة للإدارة الفرنسية، لما كانت تخطط له من محاصرة المحظرة، التي رأت فيها مصدر إمداد الرحلات الدعوية لنشر الإسلام في غرب إفريقيا، حيث اعتقلت بعض العلماء الشناقطة وطردتهم من تلك المناطق التي كانوا قد استقروا بها يعلمون الناس ويساهمون في نشر الثقافة العربية هناك. وهو ما تولدت عنه هبةٌ شعبيةٌ واسعةٌ ضد افتتاح هذه المدارس منذ مطلع القرن العشرين وكانت الوسيلة الأنجع لإيصال رسائلهم هي الشعر، فنظموا الفتاوى، والنصائح التي تحذر من تسليم الصغار للنصارى، وأنّ من يفعل ذلك يكون مفرطاً في أبنائه. كما بينوا أن المدرسة الفرنسية وسيلةٌ لمحاربة الدين وطمس الهوية الإسلامية، وقد جاءت الفتاوى بهذا الصدد من أعلام كبارٍ ومن مختلف مناطق البلاد.

وفي دراسة أعدها العالم اللغوي (كومنس Cummins) حول تأثير اللغة الأجنبية على اللغة الأمّ خلص إلى مسألتين اثنتين مفادهما أن اللغة الأمّ ينبغي أن تحظى بالاهتمام الأكبر خاصةً في سن الطفولة، وهما كالتالي:

1- أن على المتعلم (التلميذ) أن يصل درجةً معينةً من إتقان اللغة الأمّ قبل أن تقدم له اللغة الوافدة، وبعد أن يصل (عتبة إتقان اللغة الأمّ) قد تقدّم له دروسٌ في اللغة الأجنبية، لكن يجب أن تبقى اللغة الأمّ حاضرةً حتى لا تبدأ في التناقص التدريجي - عنده - حتى تختفي. وفي حالة إقصاء اللغة الأمّ سيؤدي ذلك إلى ما يسمى بالثنائية اللغوية المتناقصة (Subtractive bilingualism).

2 - أن إتقان اللغة الأم يساعد على إتقان اللغة الثانية وتطور المهارات اللغوية في الأخيرة. وهو ما عرف بـ «نظرية التبادل التطوري» (Developmental Interdependence Hypothesis)^[1].

وتنبه هذه الدراسة إلى الخطر الكبير الذي قد تسببه اللغة الثانية على اللغة الأم. وهو ما يعني أن التعليم الوافد من أهدافه ربط شعوب هذه المستعمرات بأسيادهم المستعمرين فكرياً وثقافياً، والمدخل إلى ذلك هو تعليمهم ثقافة هذا الوافد وتبشيرهم بمعتقداته "... فإن غزو هذه المدارس الثقيفي القومي هو تمهيدٌ للغزو الديني، فهي معقل التبشير بالديانات والنحل^[2]...".

وقد تراءى لبعض المستشرقين أن المدرسة الفرنسية لم تلعب الدور المنوط بها، فها هو المستشرق دي شايي يقيّم دور المدرسة في مناطق الزواج من هذه البلاد حيث يقول: «في بلاد الزواج لا يوجد أيٌّ من هذه الشروط ولا يتوفر أي واحدٍ من هذه الأهداف فتبدو المدرسة وكأنها دورةٌ تعليميةٌ تنشأ وتصان ويصرف عليها من قبلنا ثم تخرج رجال دينٍ معادين في الغالب ومرتابين دائماً^[3]».

وقد استفتى الشاعر محمد بن محمد المصطفى العلماء في نازلة المدارس الاستعمارية:

ملح البلاد ما جواب سائلٍ عن حكم أمر في البلاد نازل
تسليماً أولادنا الصغاراً طوعاً إلى مدارس النصارى

كما أجابه محمد الأمين بن محمد مولود بن أحمد فال:

جاز تعلمُ خطوطِ الكفرة لبالغٍ من الملاح المهرة

[1] السن الأنسب لتدريس اللغات الأجنبية خالد بن عبد العزيز الدامغ ص: 40 - 44. ط: 1، 2011، الوطن للنشر، السعودية الرياض.

[2] المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية. ص: 37. بكر ابن عبد الله أبو زيد. دار ابن حزم القاهرة، ط1، 2006.

[3] (فرانسيس دو شاسي Francis de chassey)، موريتانيا من سنة 1900 إلى 1975، ص: 130، سابق.

ومنعوا إسلام نجله الأب لكَافِرٍ يبعثه في المكتبِ
 إفائمه بعدُ إذا تنصر على الذي أعطاهُ، فيها اشتها
 ذكر ذا العلامة الشوشاوي^[1] بحرُ المعارف الخِصَم الراوي

ورد عليه أيضاً العلامة عبد الله بن داداه ضمناً بقوله:

الصمت دون ما يخاف منه

وقال في إضاءة الدجنه:

«الحق لا يخفى على ذي عين والله أرجو عصمة لديني»

كما جاء النهي عن تسليم الأطفال للمدارس، والتذكير بعواقب ذلك من الويل
 والثبور في الآخرة والعار والدنية في الدنيا.

ويحذر أحمدو بن فتى الذين يرتادون مدارس النصارى:

بناة مدارس الفاني عدوي لدوا للموت وابنوا للخراب
 فأبنية الحطام إذا أقيمت كأبنية العناكب والذباب

يقول أحمد بن محمد بن المنى:

فلا تجعل صبيك في «لكول» لتأمن لهيب لظى الأكل
 وكن عنها إذا نشرت ذووها ليدخلها الدعاية ذا نكول
 ولا تقل العدول الشم فيها وفيها الشم أبناء العدول
 فليست عصمة الرحمن إلا لمن حاز النبوة كالرسول

[1] الشيخ الإمام الأصولي الفقيه أبو علي حسين بن علي بن طلحة الرجراجي الوصيلي الشوشاوي نسبة إلى إقليم شيشاوة المغربي.

يقول محمد حبيب الله بن مياہ:

ألا أيها الإخوان إن المدارس
مكيدهُ أهل الكُفْرِ للدين بالدنا
وعمت ببلواها ديانتنا التي
ألم تنظروا هل هي من حرث دينكم
وهل هي للدنيا بمحض معيشة
ففروا ففروا فالتقى خير زادكم
و يضيف قائلاً:

وتقتل أفهام الصغارِ عن التقى
بفلسفةٍ أو شيعةٍ أو شيوعةٍ
وخيرُ الورى عما يلائمهم نهى
إلى أن يصيروا وافدين الكنائس
تلائم من للكفر كان مُجانسا
طباعاً فعلاً صورةً و ملابسا

ويقول الشيخ محمدمو حامد بن آلا:

والدينُ مبقاه أن تأتي الصغارُ بهِ
والناسُ إن أفسدوا دين الصغارِ رضوا
وليس يرضى بمحو الدين غير عمِّ
وحيث لا فإذن لم يبق من دينِ
بالمحو للدين من كل الدواوينِ
عن نهج الإيمان والإسلام مفتونِ

خاتمة:

وقد خالصنا من خلال هذه الدراسة إلى جملةٍ من الاستنتاجات نلخصها في النقاط التالية:

- أن بعض المستشرقين قد تناول الكتابة عن هذا المجتمع بشيءٍ من الموضوعية حيث خرج بخلاصة مفادها أنه مجتمع بدوي عالم، يمتاز بالكرم رغم صعوبة الحياة في الصحراء. كما يذكر للحركة الاستشراقية أنها حفظت العديد من مخطوطات التراث الإسلامي، من بينها مخطوطاتٍ شنقيطيةٍ كانت على وشك الضياع وهي اليوم محفوظةٌ في الأرشيف الفرنسي.
- أن الأوروبيين أدركوا أهمية هذه البلاد (شنقيط) وبخاصة الفرنسيين الذين كانت لهم اليد الطولى في احتلالها، وقد انطلق أغلبهم (المستشرقين) في تصوره من مبدأ مفاده أن جل ما يكمنه الشناقطة لهم من عداٍ مُتأتٍ من تعاليم الإسلام، الذي هو مصدر كل أوجاع وعذابات إفريقيا، كما يزعمون، والواقع أن ذلك يعود لوجود موروثٍ تاريخيٍّ في الوعي الذاتي للشخصية الغربية ينظر إلى المسلمين كأعداءٍ في صراعٍ حضاريٍّ وتاريخيٍّ.
- أن نخبة المستشرقين التي زارت البلاد قد اطلعت على العديد من الترجمات أثناء عملهم في الجزائر وتأتي في مقدمة هذه الترجمات ترجمة معاني القرآن والسنة النبوية وترجمات الفقه المالكي وبخاصة جوانب المعاملات التي ركز عليها المستشرقون كثيرا، وكذلك عادات المجتمعات الصحراوية إلى غير ذلك.
- أن كتابات المستشرقين ركزت على تاريخ المنطقة، فأرخوا لدخول المرابطين إلى إسبانيا، وكتبوا عن فكر ناصر الدين وحركته الإصلاحية، والظروف التي ظهر فيها. كما ترجموا مؤلفاتٍ عن أنساب البيظان ومشايخهم، وعن حركة انتجاعهم.
- أن من أبرز تجليات الإيديولوجيا الاستشراقية في هذه الكتابات، ما ظهر من تقديم المعلومات التامة عن المجتمع سواءً أعلق الأمر بالثقافة أم بالدين أم بالسياسية، والتقليل من قيمة المعارف الشنقيطية، والقول بأنها لا تحمل فكرياً أو عقيدةً.

- تكرر الصورة السلبية نفسها عن هذا الشعب، كالقول بهمجيته وأنه يفتقد المبادئ الأساسية للحضارة العالمية، وهي الانطباعات نفسها التي تتردد في جل كتاباتهم.
 - أن المستشرقين ربطوا علاقات مع بعض المشايخ، حتى أصبحت هناك مراسلات ثابتة بينهم وبين الإدارة الاستعمارية في سينلوي بالسنغال يستعينون بهم في تقديم المعلومات والتدخل وقت الضرورة.
 - خدمت الحركة الاستشرافية الإدارة الفرنسية في تحقيق احتلال البلاد والسيطرة على أسواقها، وربط مستعمراتهم في الجنوب بمستعمراتهم في الشمال. كما تولى المستشرقون مسؤوليات وزارات التربية والتعليم في المستعمرات، و أشرفوا على وضع المناهج التربوية بها.
 - حوصرت البلاد ثقافياً واقتصادياً وسياسياً فمنعت الرحلات التجارية الشنقيطية المتجهة إلى السودان الغربي، فقطعت من ارتباطاتها التاريخية وصلاتها العلمية والروحية... إلخ.
 - أدرك المستشرقون ما تشكّله المحظرة من تحدٍّ بالنسبة لهم في الداخل الموريتاني والجوار الإفريقي، وصعوبة اختراق هذا المجتمع البدوي العالم، الذي يصعب ترويضه على الأفكار الأجنبية وإخضاعه لسلطة قارة.
- وهنا نقول أنه كان بالإمكان توظيف الاستشراق بشكلٍ إيجابيٍّ كأداةٍ للتقارب الحضاري والتعايش السلمي وهو ما لم تتطلع إليه الحكومات الفرنسية المتعاقبة، حيث حاربت الثقافات الوطنية لتفصح المجال أمام ثقافتها ولغتها التي تعتبرها الوسيلة الأفضل لخدمة أهدافها، ومخالفةً في ذلك مبادئ الثورة الفرنسية التي تقول بالحرية والعدالة والإخاء، ومخالفةً أيضاً أطروحة الجنرال ديغول القائلة: «هناك ميثاقٌ على امتداد عشرين قرناً يخلد عظمة فرنسا ويصون حرية العالم»^[1].

(Il y a un pacte vingt fois séculaire entre la grandeur de la France et la liberté du monde)

[1] هذه الترجمة اقترحناها لتناسب مقولة ديغول.

المصادر والمراجع:

1. شنقيط المنارة والرباط، الخليل النحوي. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987.
2. إمارة ادوعيش ومشطوف، الشيخ سيدبا بابا، تح: إزيد بيه بن محمد محمود ط2، نواكشوط، 1994.
3. إخبار الأحبار بأخبار الآبار، أمحمد بن أحمد يورة، ترجمة (بول مارتى Paul Marty)، دراسة أحمد ولد الحسن، معهد الدراسات الإفريقية الرباط، 1992.
4. مجتمع البيضان في القرن التاسع عشر، قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية.
5. الطريق إلى تنبكتو عبر موريتانيا، محمّدو ولد محمّدن أمين، بدون السنة.
6. مجالس مع فضيلة العلامة محمد الأمين الجكني الشنقيطي، أحمد بن محمد الأمين بن أحمد الجكني الشنقيطي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة الكويت، 2007، ط1.
7. موريتانيا وأوروبا عبر التاريخ، محمد سعيد ولد همدي، بدون: السنة ودار النشر.
8. الرحلة في صورة الآخر قراءة في نصوص الرحالة الأوربيين تأليف مشترك إشراف: كريم بجيت.
9. موريتانيا من سنة 1900 إلى 1975، (فرانسيس دو شاسي Francis de chassey)، ترجمة محمد ولد بوعليّة دار جصور للنشر، بتصرف.
10. المقاومة السنونكية للاستعمار في كيدي ماغة، محمد المحبوب ولد محمد المختار ولد بيه، مكتبة القرنين، 2010.
11. السن الأنسب لتدريس اللغات الأجنبية، خالد بن عبد العزيز الدامغ، 2011، الوطن للنشر، السعودية الرياض.
12. المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية، بكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن حزم القاهرة، ط1، 2006.

المجلات:

13. التأليف الموريتاني في ظل الاستعمار، د. الشيخ سيدي عبدالله، ورقة بحثية، مجلة الأديب، اتحاد الأدباء الموريتانيين، العدد 10، 2010.
14. المنظمات الإنسانية واجهة الاستعمار الجديد في موريتانيا، محمد المختار سيدي محمد، مجلة الحكمة، ص: 68، ع: 12، 1999، بغداد.

51. مقال: الإيديولوجيا الاستشرافية في رحلة إدموندو دي أميتشس حول المغرب خالد شاوش، ص: 131، 2013.

المراجع الأجنبية:

16. Paul Dubié. La vie matérielle des Maures, mémoires de L'Ifa, n°23, Dakar, 1954.
17. Gaston Donnet, En Sahara à travers le pays des Maures Nomades, Paris, Société Française Edition D'Art.
18. Etienne Richet, La Mauritanie.
19. Ismael Hamat, Chronique de la Mauritanie sénégalaise, Nacer Eddine, texte arabe traduction et Notice, P: 1, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1911.
20. Paul Marty, L'émirat des Trarza.
21. La Mauritanie, préfaces: Paul Painlevé (membre de l'institut, ancien président du conseil), Paris, 1920.
22. Paul Marty, Les tribus de la Haute Mauritanie, Comité de l'Afrique française, Paris, 1915.
23. Mollien, Voyage dans l'intérieur de l'Afrique.
24. J. Roos, l'adjoint au commissaire, Territoire civil de la Mauritanie (Rapport d'ensemble), p: 54, Saint-Luis, Imprimerie du gouvernement, 1908.
25. Paul Marty, L'islam au Sénégal, T1.
26. Francis Nicolas, La langue berbère de la Mauritanie, Mémoire de l'institut français d'Afrique noire, n°: 33, IFAN_DAKAR, 1953.